المصالح الاميركية في الشرق الأوسط

بقلم : سبيل فارس

يعود اشتقاق كلمة « الشرق الاوسط » الى عام ١٩٠٢ . حيث استعملها الضابط البحري الاميركي الفرد ماهان لدى تحديده للمنطقة الواقعة بين الجزيرة العربية والهند . وقد عمدت جريدة «التايمز» اللندنية لاستعمالها ومن ثم اخذت بالتداول في ملفات الخارجية البريطانية (٢) . وتعتبر منطقة الشرق الأوسط ذات هوية مميزة ساهمت معالمها الجغرافية بتحديدها . من اهم هذه المعالم ، المناطق الواسعة من الاراضي غير الزراعية ، وقلة هطول الامطار ، وقلة الغابات ، والاعتماد الموسمي على الزراعة في بعض انحائها. ولا شك ان اكتشاف بعض الموارد الطبيعية فيها ، كالبترول ، قد ساهم في تغيير خصائص المنطقة اجتماعيا واقتصاديا . كما ان ظهور الاديان السماوية الثلاثة في المنطقة قد اكسبها قيمة روحية كبيرة .

ويعود احتكاك الشرق الاوسط الفعلي بالغرب في عصرنا الحديث الى فترة قدوم نابليون بونابرت الى مصر عام ١٧٩٨ ، كما يسجل التاريخ ان السلطان سليم الثالث قد بعث ابو بكر راتب افندي الى فيينا حيث عاد بتقرير واف عن طبيعة الاصلاحات السياسية المزمع القيام بها في السلطنة العثمانية وبعدها بسنوات اسس السلطان سفاراته في لندن ، فيينا ، برلين وباريس، وتبع ذلك سفاراته لدولة العجم في القرن التاسع عشر ، وممثلين عن دولة محمد علي باشا في مصر (٣) . وتبقى الاشارة ايضا الى دور البعثات الدراسية في الانفتاح على الغرب ومفاهيمه . فلقد ارسل محمد علي باشا اول بعثاته الدراسية لايطالية عام ١٨٠٩ . وفي نفس العام ، وصلت بعثة العجم الى بريطانية.

وفي عام ١٨٢٧ ارسل السلطان محمود الثاني عدة بعثات الى دول اوروبية مختلفة قدر عدد افرادها بمئة وخمسين طالبا (٤) . وكان للبعثات التي ارسلها محمد علي الى فرنسا عام ١٨٢٦ اكبر الاثر في اكتساب مفاهيم الثورة الفرنسية ، اذ عادت تحمل بذورا جديدة من المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ولا يقل تاثير المؤسسات الثقافية الغربية والارساليات عن دور البعثات الدراسية في تغلغل المفاهيم الغربية . غير ان الدور الفعلي للتغلغل الغربي انتهى مع اقدام الغزاة ومع محاولات الدول الاوروبية للمحافظة على طريق الهند التجاري . ففي بداية القرن التاسع عشر ، كانت مصالح الدول الغربية مكرسة لاستحضار المواد الخام وايجاد اسواق جديدة لتصريف البضائع المنتجة . ادى ذلك الى استعمار بعض الاقاليم في الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية حيث احتلت بريطانية عدن عام ١٨٣٩ . وكانت الانشط انذاك في المنطقة حيث تعمل تحت شعار المحافظة على رجل اوروبا المريض اي الحكم العثماني وحاربت اية محاولة لايجاد قوة محلية تهدد سيطرتها الاقتصادية الاستعمارية . ولكن تحاول بريطانية والولايات المتحدة الاميركية تثبيت مراكز قوى لها في الشرق الاوسط على مصالحها المشتركة . ومع منتصف القرن التاسع عشر ، اخذت الاحداث تتطور بسرعة مع اشتداد التنافس بين الدول الاستعمارية ومع تقدم وسائل الانتاج والرغبة في كسب اسواق جديدة . وفي عام ١٨٨٢ عمدت بريطانية الى احتلال مصر ثم امتد ذلك الى السودان فوضعهما تحت سيطرتها المباشرة في وجه القوة الالمانية التي اخذت تزداد شيئا فشيئا . وفي عام ١٩١٨ تم القضاء على الدولة العثمانية لتنتقل دول الشرق الاوسط الى الاستعمار المباشر للدول الغربية . وبين عام ١٩١٨ و ١٩٤٥ اصبحت بريطانية وفرنسة القوتين الرئيسيتين في المنطقة حيث « ـ ـ » الانتداب او الاستعمار على معظم دول المنطقة وهكذا دام الوجود الفرنسي ـ البريطاني المباشر قرابة مئة وخمسين سنة منذ بداية الصراع بين نابليون ولنسن حتى الاعتداء الثلاثي على مصر زمن ايدن وموليه .

بعد هذه المقدمة التاريخية يبقى السؤال... وماذا عن الوجود الاميركي في الشرق الاوسط ؟ وما اهمية هذه المنطقة بالنسبة للولايات المتحدة الاميركية ؟

باختصار ، تجيب احدى المؤسسات الاميركية ان كل رئيس جمهورية اميركي منذ عهد ترومان يرى ان المصالح البعيدة المدى للولايات المتحدة في المنطقة هي تماما باهمية المصالح التي تعبر منها دول حلف شمال الاطلسي ودول جنوب شرق اسيا .

فما هي هذه المصالح ، وما اهميتها ؟ ولا بد لنا ان نسجل هنا ما كتبه دافيدس ، وهو مسؤول في الخارجية الاميركية ، والقائم باعمال السفارة الاميركية بالقاهرة عام ١٩٦٧ اذ يقول « ان منطقة الشرق الاوسط من الناحية الاستراتيجية اهم بكثير من اجل الدفاع عن المصالح الاميركية من المنطقة التي تدخلت فيها الولايات المتحدة باكثر من نصف مليون جندي » (٥) .

١ ـ المصالح السياسية ـ الاستراتيجية

خلال تعرضنا للمصالح الاميركية السياسية والاستراتيجية سنعمد الى تقسيم تاريخي بحيث تمتد الفترة الزمنية الاولى من عام ١٨٥٠ الى ١٩٤٧ ، والفترة الثانية ، من عام ١٩٤٧ حيث اصبحت الولايات المتحدة ، من خلال مبدأ ترومان ، تعتبر نفسها صاحبة الدور الاساسي للحد من انتشار الثورة في العالم . اما الفترة الثالثة فتبدأ مع عام ١٩٥٨ بعد ثورة ١٤ تموز في العراق والتدخل العسكري الاميركي في لبنان .

الفترة الاولى « ١٨٥٠ ـ ١٩٤٧ » :

منذ منتصف القرن التاسع عشر ، بدأت الولايات المتحدة بالتغلغل الثقافي والاجتماعي من خلال الارساليات الدينية . ولقد قسمت هذه الارساليات الشرق الاوسط الى اقاليم فيما بينها بحيث تمكن كل ارساليه من ممارسة دورها في الاقاليم التي حددت لها . ثم عمدت هذه الارساليات الى شتى ضروب الاغراء والترغيب لانجاح مهمتها . والجدير بالذكر ان المنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة كانت قد تأسست منذ العام ١٨٩٧ اي سنة انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بال بسويسرا . ولقد وافق الرئيس الاميركي ويلسن والكونغرس الاميركي عام ١٩١٧ على وعد بلفور . ورى ادلر ان تشجيع الصهاينة الاميركان والامل في الضغط من اجل الدخل الاميركي الفعال في الحرب العالمية الاولى كانت من اهم الاسباب التي دفعت الحكومة البريطانية الى اعلان وعد بلفور (٦) .

ومع نهاية الحرب العالمية الاولى عمد ويلسن الى ارسال بعثتين لتقصي الحقائق احداهما بعثة كينغ ـ كراين التي زارت فلسطين وسورية والاردن ولبنان والعراق . والاخرى بعثة هاربورد والتي ذهبت الى ارمينية . ولم تلبث الحكومة الاميركية ان وافقت على الانتداب الفرنسي ـ البريطاني للشرق الاوسط رغم ان بعثة كنغ ـ كراين راب غير ذلك . ومهما يكن من امر ، فمع العام ١٩٢٠ اخذت الولايات المتحدة الاميركية بحماية المصالح الاميركية الخاصة الاقتصادية ، كالشركات التي بدأت بالتنقيب عن البترول في الشرق الاوسط . ومع العام ١٩٢٩ امتلكت الشركات الاميركية حق التنقيب في مساحات واسعة من منطقة الخليج العربي والسعودية . كما امتلكت ربع ممتلكات شركة البترول العراقية في العراق وقطر . ونصف اسهم شركات البترول في الكويت .

وقد ادت احداث الحرب العالمية الثانية الى الدخل الاميركي المتزايد . فاهمية الشرق الاوسط من حيث كونها نقطة اتصال تحتفظ باحتياطي ضخم للبترول مكن بريطانية من الاستمرار في القتال وحث الاميركيين على اعطاء المساعدات اللازمة لذلك . فبعد سقوط طبرق في حزيران ١٩٤٢ بايدي الالمان ، عمد روزفلت بناء لطلب تشرشل الى ارسال كلمة مباشرة لشرمان الى منطقة الشرق الاوسط للحد من التدهور العسكري للحلفاء هناك (٧) . غير انه ، ورغم التحالف الاميركي ـ الروسي اثناء الحرب ضد النازية الالمانية ، عمد الاتحاد السوفياتي الى تشجيع الحركات القومية لشعوب كردستان واذربيجان ومارس الحزب الشيوعي الايراني ـ حزب توده ـ المقاومة المسلحة لاجلاء الاميركيين عن ايران (٨). وقد ارهب ذلك الولايات المتحدة خصوصا مع عدم قدرة بريطانية على استمرار احتلالها المباشر للمنطقة . ومع عدم قدرة الحكومات الرجعية في ايران وتركية واليونان ان تؤدي دورها في حماية مصالح الغرب دون المساعدة الاميركية المباشرة .

الفترة الثانية « ١٩٤٧ ـ ١٩٥٨ » :

استمر في هذه الفترة الدعم الاميركي من امتداد دور ثورة اكتوبر «في الاتحاد السوفياتي» الى الشرق الاوسط ومساعدته للحركات الثورية التي قامت في ايران وتركية واليونان والتي ساهمت في بث الافكار الشيوعية في المنطقة. فاذا بمبدأ ترومان لاحتواء النفوذ الشيوعي في العالم يتبعه مشروع مارشال ومعاهدة حلف شمال الاطلسي والدخل العسكري في كورية. اما بالنسبة للدول العربية ، فقد كان الوجود البريطاني لا يزال نافذا وذلك بواسطة معاهدات الدفاع المشترك مع العراق والاردن ومصر، ومع الاحتلال العسكري المباشر والكامل لبعض اقاليم الخليج العربي وعدن . ولذلك فقد انصب اهتمام الولايات المتحدة في تلك الفترة كما يذكر دافيدس . اولا : على المساهمة في بناء اوروبا الغربية الاقتصادية وحمايتها من « التغلغل السوفياتي » . وثانيا ، على انشاء وحماية ودعم اقتصاد دولة مستقلة للصهاينة في فلسطين (٩) . بحيث تشكل هذه الدولة مسمار امان للمصالح الاميركية المنتشرة في المنطقة . اما بالنسبة للمنطقة هذه بالذات ، فقد اجتمع زعماء المنظمة الصهيونية عام ١٩٤٢ في مدينة نيويورك وتبنوا ما سمي « بيان بلتمور » يطلبون فيه انشاء « دولة يهودية » ، في فلسطين وذلك بواسطة الدعم الاميركي (١٠) . وفي عام ١٩٤٤ ، احتضن الحزبان الديمقراطي والجمهوري الموقف الصهيوني. وهكذا اصبحت خطوات الولايات المتحدة مواقفة تماما مع مقررات المؤتمرات الصهيونية . ففي التصويت مع قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ والضغط على حكومات عديدة منها هايتي وليبيريا والفلبين والبرتغال للتصويت الى جانب المشروع ، الى الاعتراف السريع بقيام دولة اسرائيل في ١٥ ايار ١٩٤٨ ، فمحاولتها الى هدنة استطاعت من خلالها ان تمد يد العون الى اسرائيل لتثبت وجودها . ولا تزال ذلك قائما حتى اليوم . وفي كانون الثاني عام ١٩٥٣ انتخب ايزنهاور رئيسا للولايات المتحدة الاميركية واصبح جون فوستر دالس ناظرا للخارجية . وفي اذار من العام نفسه توفي جوزيف ستالين . ولكن خارطة العلاقات السوفياتية ـ الاميركية في الشرق الاوسط لم تبدل كثيرا . وفور عودته من الشرق الاوسط في اوائل عام ١٩٥٣ ، قدم دالس تقريره عن المنطقة . وقد شمل التقرير النقاط الثلاث التالية :

١ ـ انشاء منظمة دفاع مشتركة لمنطقة الشرق الاوسط ، ضروري لحماية المصالح الاميركية .

٢ ـ معظم سكان المنطقة يرفضون الدخول في منظمة دفاع يحتضنها الغرب .

٣ ـ اما الدول الواقعة على مقربة من الاتحاد السوفياتي مستعدة لانشاء منظمة دفاع مشتركة (١١) . وبذلك نشأ حلف بغداد ، والذي تحول فيما بعد الى معاهدة الحلف المركزي «سنتو» . ولقد ضمت المعاهدة تركيا والعراق وايران والباكستان وبريطانية . وغيبت الولايات المتحدة شكلا خارج الحلف .

ثم جاءت صفقة الاسلحة التشيكية لمصر ، فكانت ضربة موجعة للسيطرة الاميركية . ثم جاء طلب مصر قرضا ماليا من البنك الدولي لبناء السد العالي ، الا ان البنك الدولي رفض ذلك تحت الضغط الاميركي . لذلك ظنت الولايات المتحدة ان مصر لن تستطيع الحصول على قرض مالي من الاتحاد السوفياتي وذلك بسبب حاجتها لدفع مبلغ مئتي مليون دولار قيمة الاسلحة المشتراة . وهكذا جاءت خطوة مصر التاريخية بتاميم قناة السويس مفاجأة كبرى للسياسة الاميركية (١٢) . كما كان عاملا فاعلا في نمو الشعور بالقومية العربية ، هذا الشعور الذي اصبح يهدد المصالح الاميركية بالخطر الشديد والمباشر . ولقد كان مشروع ايزنهاور ردا على نمو وتعاظم حركة القومية العربية وعلى التأثير السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط. ففي اجتماع الكونغرس الاميركي في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ اعلن ايزنهاور ضرورة الدخل بشكل اكثر فعالية في شؤون المنطقة وذلك بالدخل العسكري المباشر لحماية اي نظام يقاوم الشيوعية العالمية (١٣) . كانت لبنان وليبيا الدولتان الوحيدتان اللتان وافقتا رسميا على مشروع ايزنهاور . ولم تمر بضعة اشهر حتى كان المشروع قيد التنفيذ العملي .

اذ قامت الانتفاضة الوطنية للجيش الاردني في نيسان ١٩٥٧ مما دفع الاسطول السادس الاميركي للتوجه الى شرق البحر الابيض المتوسط بعد ان اعلن دالس ان حماية النظام الاردني من اهم مصالح اميركة الحيوية (١٤) . وعندما قامت ثورة العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، نزلت القوات الاميركية في بيروت بناء على طلب كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية انذاك لتخدم غرضين :

اولا : محاولة القضاء على الانتفاضة الشعبية في لبنان .

ثانيا : العمل على ايقاف مد الثورة العربية التي باقي الدول العربية المتحالفة مع الغرب (١٥) .

ثم طلب ايزنهاور من روبرت مورفي ، زميله في الجيش الاميركي اثناء الحرب العالمية الثانية في شمال افريقيا ، ان يتوجه الى لبنان ليثبت لحلفائه انه قادر على حمايتهم .

الفترة الثالثة « ١٩٥٨ ـ ١٩٦٧ » :

كان لانهيار النظام الرجعي الملكي في العراق تاثيرا كبيرا على وضع الولايات المتحدة في الشرق الاوسط . مما دفعها لزيادة مساعداتها لتركية وايران والباكستان وليصبح مشروع ايزنهاور شاملا هذه البلدان الثلاثة . غير ان بعض التناقضات اخذت تظهر بين الدول الحليفة . اذ بدأت تركية بالاهتمام بمشكلة قبرص معارضة بذلك حليفتها اليونان . كما وافقت على معاهدات تجارية ومساعدات مختلفة مع الاتحاد السوفياتي . اما ايران فقد وقعت معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفياتي ثم تحسنت العلاقات بينهما تدريجيا بعد عام ١٩٦٢ . وفي عام ١٩٦٣ قام الرئيس السوفياتي بريجنيف بزيارة ايران . وفي عام ١٩٦٥ زار الشاه والامبراطوره الاتحاد السوفياتي ، وبعدها تم توقيع اتفاقية عام ١٩٦٦ بحيث يبني الاتحاد السوفياتي مصنعا للحديد والصلب في ايران مقابل تصدير ايران للغاز الطبيعي . وفي عام ١٩٦٧ اعلنت ايران شراءها بما قيمته مئة وعشرة ملايين دولار من الاسلحة الروسية (١٦).

وبالنسبة للباكستان ، فقد كان صراعها مع الهند حول كشمير هو المركز الاساسي لعلاقاتها الدولية . فعمدت الى التحالف مع الصين الشعبية . ومع بداية ١٩٦٨ اعلنت انضمامها للقاعدة الجوية الاميركية قرب بيشاور . وهي نفس القاعدة التي انطلق منها فرنسيس باور في رحلته الشهيرة بطائرة « يو »التجسس عام ١٩٦٠ . غير ان ذلك كله ، لم يمنع الولايات المتحدة من الدخل في اكثر من مناسبة بشؤون الشرق الاوسط . فخلال حرب اليمن، الاقليم الذي حدثت بعد ثورة ١٩٦٢ ، وعندما بدأ الطيران المصري بقصف الحدود الجنوبية للسعودية حيث كانت مراكز المرتزقة والملكيين ، قامت قوة من الجيش الاميركي بالتمركز في السعودية « لغاية تدريبية » ولقد فهمت الحكومة المصرية القصد من ذلك مما سهل عملية الانصياع لانهاء القتال (١٧) . ولكن العلاقة السيئة بين مصر والولايات المتحدة استمرت خلال سنوات ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦ . فقد اساءت اميركا في اقدام ظاهرة من الطلاب الافريقيين على احراق مكتبة مركز المعلومات الاميركي بالقاهرة . اما مصر فقد غضبت من جراء محاولات الولايات المتحدة المكررة للتأثير على السياسة الخارجية لمصر من خلال بعض المساعدات المشروطة . كما ان التأخير المتعمد للولايات المتحدة باتخاذ قرار بشأن اسعار اعطاء مصر ما قيمته مئة وخمسين مليون دولار من فائض انتاج المواد الغذائية، جعل المسؤولين الاقتصاديين المصريين يحتارون بشأن خططهم الاقتصادية. وانيب للسياسيين المصريين اعتقادهم برغبة اميركا الثأر العملي على النظام .

اما دور الولايات المتحدة في حرب حزيران، ودعمها العملي المباشر لاسرائيل فواضح اشد الوضوح ، بالاضافة الى دور سفينة التجسس « ليبرتي » التي كانت بمحاذاة العريش. ناهيك عن التأييد السياسي العلني للمسؤولين الاميركيين لاسرائيل . ففي مقابلة لدافيد بن غوريون ، وبعد انتهاء بضعة قصيرة اعلن جون كنيدي « لقد انتهى من قبل اليهود في نيويورك ، وانا على استعداد لان افعل اي شيء لهم (١٨) . وفي ١ حزيران ١٩٦٨ وخلال منافسة للرئاسة بين المرشحين لرئاسة الجمهورية روبرت كنيدي ويوجين ماكارثي ، بادرى الاثنان في فتح عظمتهما وتأييدهما لدولة اسرائيل .

ان كل هذا الاهتمام في منطقة الشرق الاوسط وخاصة المنطقة العربية وانه راجع لضمان المصالح الامبريالية والاهمية الاستراتيجية لها فما هي هذه المصالح التي تجعل الامبرياليين يتقاتلون على المنطقة .

٢ ـ المصالح الاقتصادية :

سجلت عملية التجارة وتوظيف الرساميل الاميركية دخلا للولايات المتحدة الاميركية من الشرق الاوسط ، بلغ ١٦٦ مليون دولار في عام ١٩٦٦ . وتبين ذلك من خلال احصاء لنشرة دائرة التجارة الاميركية، ويشكل ميزان الوظيف والايرادات لتلك السنة على النحو التالي (١٩).

الايرادات :

توظيف خاص ـ الشرق الاوسط ٨٦٣ مليون دولار .

توظيف خاص ـ ليبيا فقط ٢٦٦ مليون دولار .

فائض تجاري ـ الشرق الاوسط ٨٨١ مليون دولار .

فائض تجاري ـ شمال افريقية ١٥٩ مليون دولار .

راسمال عائد ـ ليبيا ٤٢ مليون دولار .

مجموع الايرادات ٢٢١١ مليون دولار .

التوظيفات :

راسمال موظف ـ الشرق الاوسط ١٢١ مليون دولار .

راسمال موظف ـ لشمال افريقيا

مساعدات خارجية ـ الشرق الاوسط ٣٢١ مليون دولار .

مساعدات خارجية ـ لشمال افريقيا ١٠٧ مليون دولار .

مجموع الرأسمال الاميركي ٥٤٩ مليون دولار .

فيكون الربح موازيا ١٦٦٢ مليون دولار .

نستنتج من هذه الارقام ما يلي :

١ ـ معدل الربح بالنسبة للرأسمال الموظف يعادل ما نسبته ٤ : ١ اي ان الرأسمال الاميركي الموظف في الشرق الاوسط يضاعف اربع مرات خلال السنة الواحدة .

٢ ـ تم الاستفادة من الربح الناتج عن التوظيف في البلد صاحب الرأسمال الموظف، اي في الولايات المتحدة الاميركية .

٣ ـ يبقى الرأسمال الاميركي الموظف في الشرق الاوسط اميركا بطبعه اي انه لا يخسر وجوده بل يعمد الى توظيفه ثانية .

٤ ـ توافق بند المساعدات الخارجية مواقف سياسة معاملة لمواقف البلد صاحب المساعدة وفي هذا المجال ، الولايات المتحدة الاميركية .

٥ ـ تبين ان الولايات المتحدة الاميركية وبفضل مساعداتها لشمال افريقيا تبلغ ١٠٧ مليون دولار سنويا ، لا تحتاج الى توظيف رأسمالها هناك . ومع ذلك تعود منطقة شمال افريقيا عليها سنويا بما يوازي ٢٦٦ + ١٥٩ = ٤٢٥ مليون دولار « بطبيعة الحال اختلف الوضع الجاري في هذه المنطقة بعض الشيء بعد الانقلاب الليبي » .

٦ ـ معظم التوظيف للرأسمال الاميركي في حقل انتاج البترول والتجارة .

ولا بد من الاشارة الى ان الولايات المتحدة اعطت اسرائيل مساعدات مالية خلال العشرين سنة الماضية اي حتى عام ١٩٦٥ بلغت اربع بلايين دولار بما معدله ١٢٠ دولار للشخص الواحد (٢٠) . وهذا المبلغ يفوق اضعاف ما اعطته من مساعدات لكافة الدول العربية الى تدور في فلكها .

المصالح البترولية :

والحديث عن المصالح الاقتصادية الاميركية في الشرق الاوسط يقود بالضرورة الى موضوع المصالح البترولية. فمنذ الحرب العالمية الاولى اخذت الولايات المتحدة تشجع شركات البترول الاميركية لاسباب اهمها ثلاثة :

اولا : رغبتها في مد سيطرتها على العالم، من خلال تحكمها باحد اهم وسائل الانتاج المعاصرة دونما الحاجة الى حشد جيوشها لذلك الغاية .

ثانيا : الربح الوفير الذي تحققه الولايات المتحدة من صناعة النفط في البلدان المتخلفة.

ثالثا : شعور الولايات المتحدة بان احتياط البترول لديها لا يكفي لفترة طويلة تزيد عن بضع سنوات دون الاستفادة بمنابع اخرى .

ومنذ سمح لشركة ساندرد اويل اوف نيوجرسي الاميركية وسوكوني موبيل عام ١٩٢٥ بمشاركة الشركات الاوروبية لانشاء شركة البترول التركية « العراقية لاحقا » وحتى عام ١٩٦٦ ، استثمرت الشركات الاميركية ما يوازي ٢٨ بليون دولار في صناعة النفط ومشتقاتها . منها ٢،٠٨٥ بليون دولار في الشرق الاوسط و ١،٥ بليون دولار في افريقية (٢١) .

ونشر احصائيات تشابس منهاتن بنك الى ان التوظيف في صناعة النفط من اربع مجالات التوظيف للرأسمال الاميركي . فعلى سبيل المثال ، يشكل الرأسمال الموظف في صناعة النفط ٣٠٪ من الرأسمال الاميركي الموظف في الخارج ، بينما يعطي ربحا نسبته ٤٥٪ من الربح العام للرأسمال المذكور (٢٢) . اذ ان دخل الولايات المتحدة الاميركية من صناعة النفط بلغ ١٤٨ بليون دولار عام ١٩٦٦ ، منها ١٤١ بليون دولار اي اكثر من النصف من الشرق الاوسط .

ومن البديهي ان يكون للدول المنتجة للنفط عائداتها . ولكن معظم هذه العائدات تعود الى الرأسمال الاميركي لشراء بضاعة اميركية ، كالسيارات والآلات الكهربائية والمواد الغذائية وغيرها . وهكذا فالولايات المتحدة تكرر ربحها مرة اخرى . ففي عام ١٩٦٧ بلغ العائد من التجارة مع الشرق الاوسط ما مجموعه ٨٠٦ ملايين دولار ومع شمال افريقيا ١٦٦ مليون دولار .. اما المجال الاخر غير المنظور للارباح الاميركية فيأتي من خلال اموال دول الشرق الاوسط المودعة في المصارف العالمية . فمن الثلاثة بلايين ونصف البليون دولار من الذهب والعملات الاخرى ، هناك حوالي ٢،٢ دولار بالعملة الصعبة اكثريتها بالدولار او الاسترليني.

ولقد ازدادت الودائع الموجودة في الولايات المتحدة لحساب دول الشرق الاوسط من ١٩٨ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٢٩٠ مليون دولار عام ١٩٦٠ . ومنذ ذلك الوقت تزداد الودائع بما معدله ٤١ مليون دولار سنويا (٢٣) .

الرأسمال العالمي : جبهة مشتركة :

ان اقتصاد الدول الرأسمالية متداخل ومترابط بحكم طبيعته . وهو يجعل بالتالي مصلحة البلد الرأسمالية مرادف طبيعي لمصلحة البلد الاخر المماثل له اقتصاديا . وهذا الارتباط واضح في مجال النقد الدولي ، اذ ان اية ازمة تصيب الاسترليني مثلا، لا بد وان تؤثر على الدولار الاميركي او الين الياباني او المارك الالماني الخ .. اما سلبا او ايجابا . واي ارتفاع في قيمة عملة دولة رأسمالية يهدد بانخفاض قيمة نقد رأسمالي اخر وهكذا دواليك . اما في مجال النفط ، فالولايات المتحدة الاميركية لا تألو جهدا من اجل استمرار تدفق النفط الى حليفاتها في اوروبا الغربية واليابان . فاميركا تستورد فقط ٢٠٪ من حاجتها للنفط ومن اميركا اللاتينية بشكل خاص . اما اوروبا الغربية واليابان فحاجة بلدانها لنفط الشرق الاوسط تزداد باستمرار . ففي عام ١٩٦٧ استوردت اوروبا الغربية ما معدله ٩،١١،٠٠٠ ملايين برميل يوميا منها ٦،٩١٥،٠٠٠ مليون برميل من الشرق الاوسط وشمال افريقيا . بينما استوردت اليابان ٢،٤،٥٠٠ مليون برميل منها ٢٠،٣٥٠،٠٠٠ مليون برميل من الشرق الاوسط (٢٤) .

ولو عمدنا الى التدقيق اكثر في مصالح اميركا النفطية لرأينا ان نصف الانتاج العالمي للبترول المصدر تنتجه وتبيعه شركات اميركية. فعلى سبيل المثال لا للحصر ، اعلنت الشركات الاميركية ٦٣،٥٪ من استيراد اليابان للبترول عام ١٩٦٦ . و ١٨٪ من احتياجات فرنسة للعام ذاته . ويكفي ان نعلم ان ثلثي النفط العائد للشركات الاميركية يأتي من الشرق الاوسط وشمال افريقيا ■■

المراجع
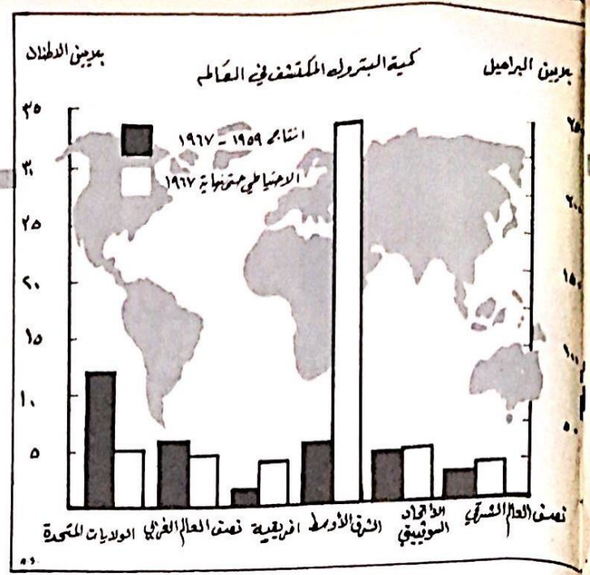
● « الشرق الاوسط والغرب » ، برنارد لويس ـ ١٩٦٥ .
● مؤسسة اميركان انتربرايز ، الولايات المتحدة ، المصالح في الشرق الاوسط ـ واشنطن ـ اوكتوبر ١٩٦٨ .
● س. اولمر ، « المسألة الفلسطينية في عهد ولسون » ، الدراسات الاجتماعية اليهودية ، اوكتوبر ١٩٤٨ .
● و. تشرشل ، « معضل » ١٩٥٠ .
● جورج ليبروفسكي ، « روسيا والغرب في ايران » ، ١٩٤٩ .
● دافيد نيس ، « تورطنا في الشرق الاوسط » ، ميدل ايست فورم ، عدد ٢ ـ ١٩٦٩ .
● جون ف. دالاس ، « تقرير حول الشرق الادنى » ، نشرة وزارة الخارجية ، ١٥ حزيران ، ١٩٥٣ .
● روبرت مورفي ، «دبلوماسي بين محاربين» نيويورك ، ١٩٦٤ .
● ليبروفسكي ، « الشرق الاوسط وشؤون العالم » .
● غوفري ويلر ، « المصالح السوفياتية في ايران ، العراق ، تركيا » العالم اليوم عدد ٥
● « الافتراس الاميركي من العالم العربي » ، ١٩١٧ .
● دائرة التجارة الاميركية ، ايلول ١٩٦٧ .
● مصرف تشاز مانهاتن ، ميزان المدفوعات للصناعة النفطية ، ١٩٦٦ .
● س. ل. سولزبرغر ، نيويورك تايمز ٢١ تموز ١٩٦٨ .
● مطبعة التعاون والتنمية الاقتصادية ، كانون اول ١٩٦٧ .
● نيويورك تايمز ، ١٢ ايار ١٩٤٢ .